الحديث الشريف

المعجزات العلمية

في الاحاديث الشريفة النبوية

بقلم الاستاذ محمد البشير النيفر المفتي المالكي

ارسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. وايده بالمعجزات العلمية والكونية الناطقة بصدقه. والتي تقوم بها الحجة على الخاصة والعامة من جميع طبقات خلقه . وما زالت آيات نبوته صلى الله عليه وسلم تزخر بحارها . وتسطع انوارها والعلم يخرج كنوزها ويحل رموزها فيزداد الذين آمنوا ايمانا. ويدخل من لم يطبع الله على قلوبهم في هذا الدين زرفات ووحدانا. لا ركونا الى التقليد. ولانزولا تحت قوة النار والحديد. بل هي الحجج البالغة وحقائق العلم الدامغة تاخذ بايدي اهل التوفيق وتقيمهم على سواء الطريق وتنطق بالحق السنتهم بعد الايمان والتصديق .

ليس هذا الذي نقوله من شقاشق اللسان . ودعاوية العرية عن الدليل والبرهان . كلا انه لهو الحق الذي اسفر عنه العيان. وفيما سنخطه ما يؤيد هذا كمال التايد وربنا الرحمن المستعان.

حديث الذباب

هذا الحديث الشريف من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم التي ايدها الكشف الطبي فبطلت شبهات اللذين غبّروا في وجه الحديث الكريم قديما وحديثا ممن ضاقت افهامهم واعتل اسلامهم وفيهم من استنزله شيطان الهوى وضعف الدين وضيق دائرة المعلومات

فرمى بعض رواته من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو بريىء منه بـراءة الايمان الراسخ والفهم الثاقب والعلم الواسع من صاحب هذا المقال نعني بحديث الذباب :

(اذا وقع الذبـاب في شراب احدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في احدى جناحيـه داء وفى الاخرى شفاء)

والكلام في الحديث من نواح ـ ١ ـ رواته ـ ٢ ـ مخرجيـه ـ ٣ ـ الفاظه ـ ٤ ـ كيف فهمه المحققون من اهل العلم في القديـم ـ ٥ ـ ما اثير عليه من الشبهات قديما وحديثا ـ ٦ ـ ما اسفر عنه الكشف الطبي مما ايـد صدقه ومزق عنه حجاب الشبهة

رواة هذا الحديث

روى هذا الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم من اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ـ ١ ـ ابو هريرة ـ ٢ ـ وابو سعيد الخدري ـ ٣ ـ وانس بن مالك ـ ولم ينفرد بروايته ابو هريرة كما ظن الحكيم محمد توفيق صدقي وقرر هذا في محاضرته التي القاها بدار الدعوة والارشاد في مصر فقال : على ان حديث الذباب رواه ابو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بين الصحابة انفسهم خصوصا فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته اهـ بنصه راجع ص ٤٥٦ من جزء المنـار (٦) من المجلد (١٨)

تخريج الحديث والفاظه

اخرج الحديث البخاري في كتاب بدء الخلق وفي كتاب الطب من صحيحه الشهير وهو في كتاب بدء الخلق من رواية ابي هريـرة بلفظ : اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في احدى جناحيه داء والاخرى شفاء

وفي كتاب الطب من رواية ابي هريرة ايضا : اذا وقع في اناء احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في احدى جناحيه داء وفي الآخر شفاء

ووقع في زاد المعاد لابن القيم ان الحديث في الصحيحين وذكره بلفظ : اذا وقع

الذباب في اناء احدكم فامقلوه،والصواب انه في صحيح البخاري فحسب ، يعلم هذا بمراجعة صحيح مسلم . ونبه على انفراد البخاري به دون مسلم الحافظ ابن حجر في فتح الباري في خاتمة شرحه لاحاديث كتاب الطب ،

والصواب ايضا انه ليس في رواية البخاري فامقلوه

واخرج الحديث ابو داود من رواية ابي هريرة ايضا بلفظ ، اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوه فان في احد جناحيه داء وفي الآخر شفاء وانه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله

واخرجه ابن ماجه في كتاب الطب من روايتي ابي سعيد الخدري وابي هريرة ولفظه من طريق ابي سعيد : في احد جناحي الذباب سم وفي الآخر شفاء فاذ وقع في الطعام فامقلوه فيه فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء

ولفظه من طريق ابي هريرة : اذا وقع الذباب في شرابكم فليغمسه فيه ثم ليطرحه فان في احدى جناحيه داء وفي الآخر شفاء

واخرجه النسائي في كتاب الفرع والعتيرة من سننه من طريق ابي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ : اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليمقله

واخرجه البزار من رواية انس بن مالك فقد روى عبد الله بن المثنى عن عمه ثمامة انه حدثه قال كنا عند انس فوقع ذباب في اناء فقال انس باصبعه فغمسه في ذلك الاناء ثلاثا ثم قال باسم الله وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم ان يفعلوا ذلك

واخرجه غير هؤلاء منهم البيهقي والطبراني في الاوسط والبزار . والمراد من المقل الغمس قال ابن الاثير في النهاية : يقال مقلت الشيء امقله مقلا اذا غمسته . وفي حديث ابن لقمان قال لابيه: أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاص البحر اه و في الفائق للزمخشري : المقل والمغس اخوان وهما الغمس اه

فروايتا المقل والغمس بمعنى وقد اتفقت الروايات على ان في احد جناحيه داء في الآخر شفاء وعلى الامر بغمسه وفي بعضها زيادة الامر بالطرح بعد الغمس كما ان في بعضها زيادة : انه يقدم السم ويؤخر الشفاء وفي بعض الريوايات التعبير بالطعام وفي بعضها التعبير بالشراب و في بعضها التعبير بالاناء وهو اشمل واجمع

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث من كتاب الطب : ولم يقع في شيء من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره لكن ذكر بعض العلماء انه تأمله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي فيه الشفاء ... وفي حديث ابي سعيد انه يقدم السم ويؤخر الشفاء اه

فهم العلماء المحققين في القديم للحديث

اجرى كثير من محققي العلماء الحديث على ظاهره وعده ابن القيم من آيات النبوة قال في زاد المعاد في الفصل الذي عقده لبيان هديه صلى الله عليه وسلم في اصلاح الطعام الذي يقع فيه الذباب وارشاده الى دفع مضرات السموم باضدادها من كتابه الجليل زاد المعاد بعد ان نبه على ان في الحديث معنيين فقهيا وطبيا وبين الفقهي قال ما نصه :

واعلم ان في الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه وهي بمنزلة السلاح فاذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه فامر النبيء صلى الله عليه وسلم ان تقابل تلك السمية بما اودعه الله في سلاحه الآخر من الشفاء فيغمس كله في الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة فيزول ضررها وهذا طب لا يهتدي اليه كبار الاطباء وايمتهم بل هو خارج من مشكاة النبوة ، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويقر لمن جاء به انه اكمل الخلق على الاطلاق وانه مؤيد بوحي الهي خارج عن القوى البشرية وقد ذكر غير واحد من الاطباء ان لسع الزنبور والعقرب اذا دلك موضعه بالذباب نفع منه نفعا بينا وما ذلك الا للمادة التي فيه من الشفاء واذا دلك به الورم الذي يخرج في شعر العين المسمى شعرة بعد قطع رؤوس الذباب ابراه اه كلام ابن القيم

هذا نموذج من كلام المحققين من اهل التقوى واليقين وهو اقرب ما شرح به الحديث مما يتفق مع ما اسفر عنه الطب الحديث

الشبهات التي أثيرت ضد الحديث قديما وحديثا

هذا الحديث كثير من امثاله ضاقت به افهام من لم يهبهم الله توفيقا هاديا وفهما نافذا فمشوا في ظلمات الاوهام وجادلوا فيه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

وقد طلعت قرون الشبهة الباطلة فيه منذ زهاء الف عام فها هوذا الامام ابو سليمان احمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨ يقول في كتابه معالم السنن شرح سنن ابي داود عند الكلام على الحديث ما نصه: «ص ٢٥٩ ج (٤) طبع المطبعة العلمية

وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذبابة وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما اداها الى ذلك اه

هذا ما نقله الخطابي عن بعضهم وهو كلام من ليس له ايمان راسخ ولا فهم نافذ وقد قال الخطابي رحمه الله واثابه عقبه ما نصه :

وهذا سؤال جاهل او متجاهل وان الذي يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي اشياء متضادة اذ تلاقت تفسدت ثم يرى ان الله سبحانه قد الف بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها قوى الحيوان التي بها بقاؤه وصلاحه لجدير ان لا ينكر اجتماع الداء والشفاء في جزءين من حيوان واحد، وان الذي الهم النحلة ان تتخذ البيت العجيب الصنعة وان تعسل فيه والهم الذرة ان تكتسب قوتها وتدخره لاوان حاجتها هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية الى ان تقدم جناحا وتؤخر جناحا لما اراد من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد والامتحان الذي هو مضمار التكليف وفي كل شيء عبرة وحكمة وما يذكر الا أولوا الالباب اهـ كلام الخطابي

(يتبع)